# مسيرات العودة الكبرى وكسر الحصار

# الحال والمآل

مصطفى الصوّاف

مسودة ورقة مقدمة إلى حلقة نقاش

## عام على مسيرات العودة

25 آذار 2019 – (البيرة، غزة)

## الواقع والسياق

لم تكن مسيرات العودة الكبرى وكسر الحصار عملاً فردياً منوطاً بجهة معينة، بل هو عمل جمعي شعبي جماهيري، فصائل توافقت عليه وشكلت له هيئة مشتركة لتحديد زمانه ومكانه وأدواته وآلياته.

هذا التوافق الجمعي بين كل هذه المكونات الشعبية هي كلمة السر في استمرار هذه المسيرات، والتي تدخل عامها الأول بعد أيام قليلة، لتؤكد على أن هناك ما يجمعنا ويوحدنا أكبر من الجميع وهو الوطن والمشروع الوطني.

ثم إن هذه المسيرات جاءت في توقيت غاية في الصعوبة، تغول من الاحتلال على الشعب الفلسطيني معتقداً أن مزيدا من الضغط ومزيدا من الحصار يمكن له أن يجبر الفلسطينيين على الاستسلام ورفع الراية البيضاء، ومن ثم يحلو له فعل ما يريد. جاءت المسيرات والحالة الفلسطينية متردية نتيجة التناحر والخلاف ليس بين طرفين بل بين الكل الفلسطيني، حتى ظن البعض وهم كثر أن الفلسطينيين لا يملكون خيارات، ومن يفكر بخيار معركة مع الاحتلال في ظل الظروف التي يعانيها الفلسطينيون هو المنقذ كان تفكيرا في غير مكانه ومدمرا في ظل الحصار والتضييق الكبير على الحاضنة الشعبية والتي تشكل حصناً للمقاومة الفلسطينية، هذه الحاضنة والتي أصبحت منهكة اقتصادياً ومالياً. وأن أي إشباك مع العدو سيكون له أثر سلبي عليها وعلى المجتمع الفلسطيني.

كما أن البيئة العربية الماردية والتي تشهد موجة من التطبيع والهرولة ومن من قبل النظام العربي الرسمي تجاه الاحتلال، واعتباره الحامي لها ولعروشها من أي تحرك شعبي قد يطيح بها وبممالكها، أضعف هذا الموقف الجانب الفلسطيني وجعل منه خنجرا مسموما سيشل حركة المؤمنين بحقهم على هذه الأرض، وخاصة من دول كالسعودية والإمارات وغيرها من دول الخليج إلى جانب من سبقهم من دول كمصر في كامب ديفيد والاردن في وادي عربة، وعالميا لم يكن الحال أفضل من الحالة العربية ولعل فوز ترامب اليميني المتطرف والذي كشف كل الاقنعة والزيف وبين وجه الإدارة الأمريكية الكالح ووعوده بالاعتراف بالقدس عاصمة للكيان مخالفاً حتى قرارات الأمم المتحدة والموقف الأوروبي الذي يعتبر القدس أراضي محتله ووعده بنقل سفارة أمريكا في الكيان إلى القدس، ثم ترويجه لصفقة القرن والتي بالأساس هي تصفية للقضية

الفلسطينية، وهي تعبير كامل عن تبني الموقف الصهيوني وهي تطبيق فعلي لما ورد في خطاب نتنياهو في جامعة بار ايلان وبشكل أكثر تحديداً.

## أدوات نضالية جديدة

كل هذه الأسباب دعت الشعب الفلسطيني في غزة وقواه الحية للتداعي والنقاش والقراءة للواقع والمبادرات المطروحة لتحرك جامع يأخذ شكلاً مختلفاً عن المعركة والمواجهة مع الاحتلال والتي في ظل هذه الظروف لن تكون في صالح القضية والمشروع الوطني، فكان التفكير الجمعي بتقديم وتأخير أدوات المواجهة وضرورة استخدام أسلوب وأداة مختلفة عن البارود والنار وتأجيلها حين الضرورة مع استمرار التطوير في الأدوات القتالية لأنها في النهاية القضية بحاجة إلى المقاومة ولكن المرحلة تتطلب أدوات جديدة تحرج الاحتلال واعوانه.

فكانت فكرة مسيرات العودة وكسر الحصار ومشاغلة الاحتلال بطرق سلمية عند خط الهدنة الزائل بإذن الله تعالى في المناطق الخمس من الشمال حتى الجنوب دون استخدام للأدوات العنفية، والاكتفاء بالمظاهرات السلمية وأدواتها. فكانت المفاجئة للاحتلال، وهذا التدفق غير المتوقع تجاه المناطق الشرقية من قطاع غزة واحتشاد الألاف من كل الأطياف والقوى، وكان مأمولاً مشاركة الإخوة في الضفة الغربية والفلسطينيون في الشتات، ولكن لأسباب موضوعية وغير موضوعية بقي الأمر على مسيرات قطاع غزة على أمل أن يكون هناك حراكاً في تلك المناطق ولازالت الدعوة مفتوحة للكل الفلسطيني للمشاركة بالمسيرات.

المسيرات بدأت بيوم الأرض واختيار هذه المناسبة والتي تؤكد على الحق في الأرض والتمسك بها وضرورة العمل على العودة وكان الحشد مع كل أسبوع من يوم الجمعة ونصبت الخيام وأقيمت حفلات السمر كدليل على سلمية الحشد ومنع استخدام السلاح حتى لا يعطى الاحتلال مبررات لاستخدام القوة المفرطة.

ورغم ذلك كان الاحتلال مجرماً كعادته، فاستخدم مزيداً من القوة في مواجهة مسيرات سلمية بكل معنى الكلمة، وكان قمة الإرهاب الصهيوني يوم نقل السفارة الأمريكية إلى مدينة القدس، حيث أفرط الاحتلال بالقتل والارهاب فاستشهد في ذلك اليوم نحو سبعين من الشبان والاطفال والسيدات، حتى بلغ عدد الشهداء حتى يومنا هذا نحو 270 شهيداً وعشرات الألاف من الجرحى

بمختلف الإصابات، دون أن يحقق الاحتلال الهدف من الإفراط بالقتل وهو ثني المتظاهرين من الوصول الى أماكن الاحتشاد. وإذ بالناس تزداد عددا أسبوعاً بعد أسبوع، ولازالت المسيرات مستمرة وبنفس الأسلوب والنسق مع تقديم وتأخير في أدواتها وفقاً لمتطلبات الحاجة.

## الصدى الدولي وتحريك المياه الراكدة

تحركت العديد من الدول في كافة المحافل الدولية والحقوقية وحتى في المجتمعات العربية وبذلك تحققت أول أهداف هذه المسيرات من قاع الاهتمام العالمي بالقضية الفلسطينية وباتت على سلم أولوياته بعد أن كان مخططاً لها الذوبان تصعد مرة أخرى وتحظى بالاهتمام العالمي بالقضية. وشهد قطاع غزة تحرك الأمم المتحدة عبر منسقها الخاص لعملية السلام ميلادينوف، وتحركت مصر عبر جهاز المخابرات حيث الملف الفلسطيني بين يديه، وتحركت قطر كذلك. وكان هدف التحرك هو العمل على عودة الهدوء وعدم الانجرار لمواجهة مع الاحتلال ولمعرفة ماذا يريد المتظاهرون السلميون من خلال الجلوس مع كل القوى والفصائل الفلسطينية وهيئة الحراك.

والسؤال المطروح والأهم ماذا تريدون مقابل عودة الهدوء ، عندها كان هناك هدفان للمسيرات السلمية تكتيكي واستراتيجي، التكتيكي هو رفع الحصار المفروض صهيونياً على قطاع غزة منذ اثني عشر عاماً وفتح المعابر وزيادة مساحة الصيد وحرية الحركة للفلسطينيين وتزويد محطة الطاقة بالوقود ووصلها بغاز كوقود بدلاً من السولار كمطالب ضرورية وحياتية. أما الهدف الاستراتيجي هو حق العودة إلى الأرض التي هُجِّر منها الفلسطينيون، وهنا يجب التنبيه أن القوى والفصائل تدرك أن هذا الهدف بعيد المنال ولكن المقصود هو تسجيل هذا الحق والذي لا يسقط بالتقادم، وهم يدركون أن هذه المسيرات لن تعيد المُهجرين بقدر ما هو تثبيت لهذا الحق الذي تعتقد إدارة ترامب أن هناك إمكانية لإسقاطه عن الطاولة أو شطبه من الأجندة، خاصة أنها قدرت أن العودة هي فقط لأربع مائة الف وليس كما هو محصى بالوكالة ولدى الشعب الفلسطيني أن المهجرين نحو ستة ملايين.

## الوصول إلى التهدئة

وبذات المفاوضات والجولات المكوكية للوسطاء دون ان تتوقف مسيرات العودة وخلال هذه الفترة أدخلت أدوات سلمية جديدة من اطارات الكاوتشوك والطائرات الورقية والبالونات الحارقة والإرباك الليلي ومحاولة الإقتراب من السلك الشائك وقطعه، ثم توسعت الجبهات بإضافة ميدان جديد في شمال قطاع غزة وهو قرب قرية هربيا حيث الموقع العسكري البحري المسمى لدى الاحتلال (زيكيم).

نجح الوسطاء في مساعيهم بالعمل على عقد تهدئة مع الاحتلال مقابل تخفيف التوتر على مناطق التماس، ولكن الاحتلال بطبعه غادِر وغير ملتزم بما يتعهد به وحاول أكثر من مرة التهرب من التزاماته، ولعل عملية التسلل شرق جنوب غزة كادت تفجر الوضع، وكادت تشعل فتيل معركة جديدة بين الاحتلال والمقاومة، خاصة بعد رد المقاومة على الاحتلال في أربعين ساعة من الاشتباك شكلت ضغطاً كبيراً على الاحتلال الذي استجدى وقفاً للنار عبر الوسيط المصري. وعادت الأمور إلى نصابها وأخذ الوسطاء بالتحرك الجاد لتثبيت التهدئة والوصول إلى اتفاق من عدة مراحل، ولكن استقالة نتنياهو والحرب الدائرة بين الأحزاب جعل نتنياهو يماطل ويسوف في تنفيذ التفاهمات، وكانت ذروة ذلك منع إدخال المنحة القطرية في دفعتها الثالثة ودخلت حمى الانتخابات الصهيونية ما فتح الباب للمعارك الداخلية في دولة الكيان، كل ذلك جعل غزة والتهدئة والحرب وغيرها أداة للمساومة بين الأحزاب الصهيونية. وعلى ما يبدو أن هناك حراكاً جاداً في هذا السياق من قبل مصر وميلادينوف وقطر من أجل إلزام الاحتلال بما تم التوافق عليه، والجميع ينتظر النتائج النهائية لهذا الحراك.

## المسيرات في عامها الثاني، ماذا تحقق، وماذا تحتاج؟

ونحن مقبلون على مرور عام على مسيرات العودة ولازالت مستمرة، وربما البعض يرى أنها لم تحقق شيئاً من أهدافها، فهل ستستمر هذه المسيرات أم ستتراجع؟، نعم هناك أهداف لهذه المسيرات كما أشرنا سالفاً، أما الحديث عن فشلها وأنها لم تحقق أهدافها هذا قول بحاجة إلى مراجعة، ولكن في نفس الوقت هي لم تحقق كل ما يرجوه الشعب الفلسطيني فالحصار لم يرفع بالكلية ولكن هناك تنفيسات مأمول أن نصل إلى الأهداف الموضوعة، وهذا يحتاج مواصلة

المسيرات حتى تحقق كسر الحصار على ما هي عليه، وبعد ذلك يكون هناك تفكير بطريقة جديدة وألية جديدة لمواصلة الضغط على الاحتلال.

مسيرات العودة وكسر الحصار مستمرة هذا موقف الغالبية الكبرى في قطاع غزة وموقف القوى والفصائل، ولكن هذه المسيرات بحاجة إلى وقفه ليس في اتجاه وقفها؛ ولكن في اتجاه تطويرها والحد من السلبيات والأخطاء التي وقعت خلال مسيرة عام كامل. وهنا قد يظن البعض أن مسيرات العودة بلا خطأ وهذا اعتقاد خاطئ، لأن العمل الجماهيري وبهذه الضخامة من الأعداد وبهذه الاستمرارية ولمدة عام هو عمل خارق للعادة ويصعب في نفس الوقت ضبطه مائة بالمائة، فحدثت أخطاء المطلوب العمل على تقليل هذه الاخطاء.

المفترض استمرار هذه المسيرات بعنفوانها حتى يلتزم المحتل بما توافق عليه مع الوسطاء، وهذه نقطة التغيير وإعادة ترتيب الصفوف من جديد حتى تشكل المسيرات عاملاً ضاغطاً على الاحتلال وعاملاً مسانداً للحقوق، وإبقاء المواجهة السلمية معه إلى أقصى مدى ممكن قبل أن تقع المواجهة وفي نظري قادمة لا محالة.

استمرار مسيرات العودة يحتاج العمل على ضبط الأدوات المستخدمة والعمل على تخفيف حده الإصابات وصولاً إلى نتيجة صفرية، وهذا يستدعي مزيداً من الوحدة بين القوى والفصائل والشراكة في القرار، والتقييم المستمر للمسيرات للوصول إلى الافضل، هذه وحدة لابد من الحفاظ عليها في التخطيط والتنفيذ وعدم التفرد في السلم والحرب ويجب أن يكون القرار قرارا مشتركاً يحدد طبيعة المواجهة مع المحتل وطريقتها وأدواتها، وما غرفة العمليات المشتركة ألا نوعاً من التوافق على ان تستمر وتتطور بشكل يحقق وحدة في الميدان من خلال ضبط كافة العناصر لدى كل القوى .

وفي حال نفذ الاحتلال ما توافق عليه مع الوسطاء من رفع الحصار كما هو متفق بين الجميع فهذا لا يعني أن مسيرات العودة حققت ما سعت إليه، ولكن يحتاج إلى تكتيك جديد، وتفكير يحافظ على ديمومتها، ولكن أرى أن تستمر هذه المسيرات، و على القائمين عليها التفكير بطريقة مختلفة.

هذه الطريقة هي مقترح قد يكون صائب أو يحتاج إلى تعديل واعادة صياغة، والهدف هو الحفاظ على القدرة العالية للجماهير في الاستجابة على أن تكون هذه المسيرات وبأعداد كبيرة في

المناسبات الوطنية والدينية، ولا أعتقد أن هناك شهراً من شهور العام ليس فيه يوماً من هذه الأيام، إضافة إلى تحديد مسافة بين المتظاهرين والاحتلال، بهدف تصفير الخسائر، مع إشعار الاحتلال بالخوف والقلق من هذه المسيرات واستمرار جاهزية الجماهير للسمع والطاعة فمعركتنا مع الاحتلال طويلة وتحتاج إلى نفس طويل.

ضبط هذه الأعداد الكبيرة من الجماهير مسألة ليست سهلة ولكنها ليست مستحيلة، وهذا يحتاج إلى نشر وعي لدى الجماهير المشاركة، وتوضيح الصورة لها وتثقيفها بشكل يمكّن القائمين على ضبط ايقاعها وتحريكها، فالمسالة أكبر من التعرض للإصابة أو السعي نحو الاستشهاد خاصة أننا بحاجة إلى كل قطرة دم، وبحاجة إلى شباب واعٍ ومثقف ومنضبط وقادر على المواصلة والعطاء.

الوعي والتثقيف ليس من تخصص فرد أو تنظيم، وإنما هو حالة شمولية، المشاركة فيها مطلوبة من الجميع وفق برنامج مُعد مسبقاً، ومحدد آلياته وأدواته وأهدافه. فزيادة الوعي والتثقيف هي واحدة من أسلحة المواجهة مع العدو، لأن العدو لا يحاربنا فقط بالبندقية ولقمة العيش، بل يحاربنا بالعلم والثقافة والمعرفة والتاريخ والتراث، ولدينا من هذه المقومات ما نواجه به اباطيل الاحتلال وزيف تاريخه وتراثه.

التخطيط مسألة غاية في الأهمية فلابد أن نخطط جيداً من أين سنبدأ وكيف المسير وأين سننتهي وما هي الأهداف المرحلية والأهداف الاستراتيجية، وتوضيح ذلك للمشاركين، وتبيان الأدوار المنوطة بهم، حتى يلتزم كل واحد بدوره ويقوم به على أكمل وجه، لأن من لا يخطط يخطط للفشل، فنحن أمام عدو ماكرا ومراوغا ولذلك علينا فهم العدو ومعرفة كيف يفكر، لأن ذلك يوفر علينا كثير من الوقت، ويجعل عملنا أكثر دقه في التهديف.

هذا بعض ما نراه ضروريا للمرحلة القادمة حتى نستمر في جهدنا ونحقق أهدافنا ويوصلنا إلى بر الأمان بأقل الخسائر التي قد يوقعها الاحتلال فينا، وعلينا أن ندرك أننا سندفع اثمان لذلك وهذه الأثمان لن تضيع سدى، بل سنجني ثمارها لو أحسنا التصرف.